المورد

مجلة تراثية فصلية

تصدرها وزارة الثقافة والاعلام ـ دائرة الشؤون الثقافية والنشر ـ
الجمهورية العراقية

٤

المجلد الثاني عشر ـ العدد الرابع ـ ١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٣ م

WWW.ATTAWEEL.COM

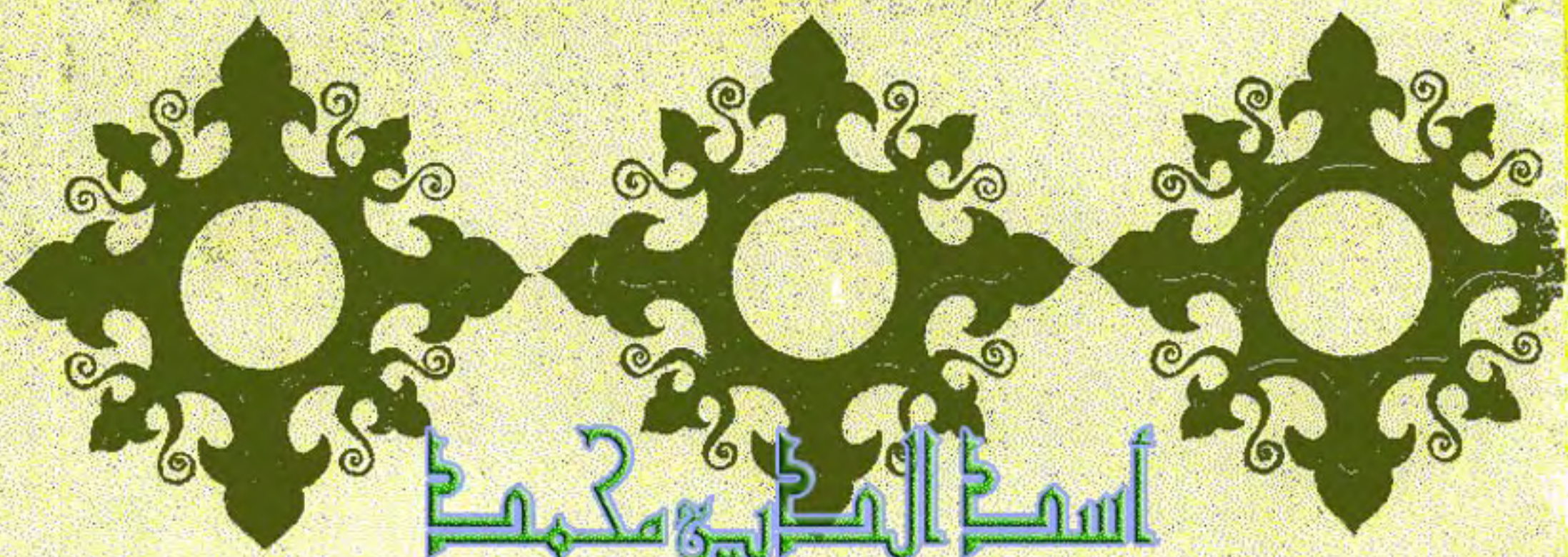

أسد الدين محمد

عدد خاص

الفكر العسكري عند العرب

الاستراتيجية الحربية العربية
في بلاد المغرب في القرن الخامس للهجرة (الحادي عشر الميلادي)

الدكتورة

صباح ابراهيم الشيخلي

جامعة بغداد ـ كلية الآداب
قسم التاريخ

لابد لنا اولا وقبل كل شيء من اعطاء لمحة مختصرة عن الاستراتيجية العسكرية التي تميزت بها جهود العرب الحربية في بلاد المغرب قبل القرن الخامس للهجرة / الحادي عشر للميلاد . فمن الواضح ان توجه العرب الى الشمال الافريقي في المراحل المبكرة كان بدافع نشر عقيدتهم الاسلامية بين تلك المنطقة وتحريرها من السلطة الاجنبية ، وهو العامل نفسه الذي دفع العرب بالتوجه نحو تحرير مناطق المشرق . كما كان لوجود البيزنطيين في بلاد المغرب وتهديدهم لانجازات العرب في المشرق اثر كبير في زيادة النشاط العربي الحربي الى تلك المناطق .

ان اول مايلفت النظر في الاستراتيجية التي سار عليها العرب في فتوحاتهم بارض افريقية ، هو نظام الحملات الاستطلاعية التي تميزت بها الحملات العسكرية الاولى للعرب، لذا لم تتضح عند الفاتحين العرب في تلك المرحلة نية الاستيطان والاستقرار في تلك البلاد . وهكذا كان حال الحملات العربية في النصف الاول من القرن الاول للهجرة /٧م . وما ان حلّ النصف الثاني من القرن ١هـ/٧م الا وظهرت محاولات العرب الجادة في ارسال الحملات العسكرية الضاربة لتثبيت الوجود العربي في بلاد المغرب ، وكان للقائد العربي عقبة بن نافع الدور الرائد في هذه المرحلة . لقد اعتمد العرب في تامين وجودهم وفتوحاتهم على مجموعة من المسكرات والحصون كانوا يقيمونها في الارض التي تم تحريرها ، والتي كان اولها القيروان التي اسسها عقبة بن نافع ، واصبحت فيما بعد قاعدة عسكرية تنطلق منها الجيوش لتحرير المناطق الجديدة ، ومركزا لنشر العقيدة الاسلامية والثقافية العربية بين قبائل البربر . وقد سهلت هذه المراكز للعرب عملية الاتصال مع سكان هذه البلاد بالاضافة الى كونها مراكز استقرار للعرب ، وكانت بمثابة القواعد العسكرية للانطلاق والتقدم الى عمليات اخرى(١).

اما الميزة الاخرى المهمة للاستراتيجية العسكرية للعرب في القرون الاسلامية الاولى فهي ادراك العرب منذ زمن مبكر ، ان لااستقرار لهم في هذه البلاد ما لم يتبعوا سياسة تهدف الى كسب السكان المحليين ، لاسيما البربر ، الى جانبهم ، ولقد تمثلت هذه السياسة في تجنيد البربر في الجيوش العربية الاسلامية ، وطبقها كل من غسان بن النعمان وموسى بن نصير . ولقد سهل هذا الامر على العرب انجاز تحرير البلاد كليا اولا ثم مهد للاختلاط والامتزاج باهلها البربر ثانيا . وهكذا استمرت جهود العرب ولمدة تقرب من خمسة قرون في نشر العقيدة الاسلامية والثقافة العربية بين سكان الشمال الافريقي .

اما فيما يخص الاستراتيجية العسكرية للعرب في بلاد المغرب في القرن ٥هـ/١١م ، فلقد كان لها طبيعتها الخاصة لانها اختلفت عن الانجازات

---

(١) لم تخل هذه المرحلة من تحرير العرب للمغرب من مقاومة البربر ومحاولات التغلب عليها .

WWW.ATTAWEEL.COM

العسكرية العربية في القرون التي سبقتها ، كما اختلفت في النتائج التي حققتها في بلاد المغرب .

فبالرغم من توفر روايات متعددة في المصادر العربية الوسيط عن ظروف الحرب والقتال في المغرب في القرن ٥ هـ / ١١ م ، الا انها لا تعطينا صورة واضحة عن الاستراتيجية العسكرية التي اعتمدها العرب الهلالية في حروبهم في المغرب . ولعل السبب يعود الى أن معظم الروايات تحاول التحدث عن احداث العرب القادمين الى المغرب على انهم قبائل بدوية هدفها التخريب ولاشيء غير ذلك . ولكننا سوف نحاول جاهدين اعتماد تلك الروايات ، بما فيها المصرية والمغربية والقصص الشعبي الهلالي ، للتوصل الى بعض الحقائق الهامة التي تتعلق بالاستراتيجية الحربية التي سار عليها العرب الهلالية في بلاد المغرب في القرن ٥ هـ / ١١ م .

من دراسة العوامل التي دفعت القبائل العربية الهلالية للتحرك من مواقع استيطانها في الجوف الشرقي في صعيدمصر(٢) ؛ والتوجه نحو المغرب لانستطيع أن نقر بانهم ساروا كجيش نظامي وفق خطة مرسومة ومحددة . ولكننا نستطيع الافتراض ، لاسيما وان جميع الروايات المتوفرة بين ايدينا(٣) عن حركة الهلاليين الى بلاد المغرب تؤكد على ان هذه الحركة كانت بدفع من الفاطميين لاسقاط السلطة الزيرية الحاكمة والخارجة عن طاعتهم(٤). انالقبائل العربيةالهلالية قد استخدمت بدل الجيش النظامي ، لاسيما وان الفاطميين في تلك الفترة من تاريخهم كانوا غير قادرين على تسيّر حملة عسكرية الى المغرب لمعاقبة الزيريين ، بسبب الازمة الاقتصادية الخانقة التي كانت تمر بهم(٥) .

اما القصص الشعبي الهلالي والذي يعرف « بسيرة بني هلال » فانه يعرض الموضوع بصورة تؤكد على ان مسيرة بني هلال الى المغرب هو لخوض حرب نظامية يشترك فيها جميع افراد القبيلة، وفق خطة مرسومة وضعها امراءهم تدفعهم الى هذا كله حالتهم الاقتصادية السيئة . وما حل بديارهم من جوع وعطش ورغبتهم في الاستقرار والتملك في بلاد المغرب الغنية(٦) . واذا ما عدنا الى الازمة الاقتصادية في مصر زمن الفاطميين في الفترة التي زامنت تحرك بني هلال نحو بلاد المغرب ، نستطيع ان نتفق مع القصص الشعبي الهلالي بان الدافع الاقتصادي قد يكون سببا في اندفاع بني هلال الى بلاد المغرب ، وبالتالي رغبتهم في الاستيطان والاستقرار فيه . ولعل خير ما يمثل تبرم بني هلال من معيشتهم في مصر ورغبتهم الجامحة للهجرة الى بلاد المغرب ما جاء في معظم الروايات العربية المعاصرة للاحداث من القول بان بطون القبائل العربية المختلفة التي تنزل صعيد مصر كان لا يسمح لها بالرحيل وعبور النيل الى ان اذن لهم الفاطميون بذلك فتحققت (امنية طالما تخلت اليها اطماعهم ؛ وعكفت عليها

---

(٢) القبائل الهلالية هي قبائل عربية عدنانية مواطنها في نجد ومع قيام الاسلام بدا بنو هلال التحرك خارج الجزيرة العربية ، مشاركين في الفتوحات الاسلامية ، وقد وصلوا الى العراق والشام واستقر بعضهم في منها (انظر الطبري ، تاريخ ج٢ ص١٦ ـ ٨٧) . وفي خلال النصف الاول من القرن ٢هـ/٨م شجع قسم منبني هلال وبني سليم على الهجرة الى مصر والاستقرار فيها (الكندي ، الولاة والقضاة ، ص٧٦ ، المقريزي ، البيان والاعراب ، ص٨٦) وقد استقر هؤلاء في منطقة الجوف الشرقي في مقاطعة بلبيس في شرق مصر ، وازداد عددهم بتقادم الزمن . وفي القرن ٤هـ/١٠م ، وبسبب انضمامهم الى الحركة القرمطية في البحرين وبلاد الشام ، فقد عمل الفاطميون بعد القضاء على الحركة المذكورة الى جلب اعداد اخرى من الهلالية الى مصر (ابن خلدون ، ج٦ ص٢٧ ، المقريزي ، اتعاظ ، ج٢ ص٢١٥) . سكن القاطنون الجدد في الجوف الشرقي من مصر مع اقربائهم الهلاليين ومع بقية القبائل العدنانية والقحطانية المستقرة في هذا القسم من مصر الى منتصف القرن ٥هـ/١١م حيث تحركوا باتجاه المغرب انظر القبائل العربية في الجوف الشرقي من مصر ، المقريزي ، البيان والاعراب ، ص٢٠ وما بعدها) .

(٣) انظر السجلات المستنصرية ، ص٤٣ ، ابن عذارى ، ج١ ص٢٦٧ ، ٢٨٨ ، ابن ميسر ، اخبار مصر ، ص٥ ، التيجاني ، رحلة ، ص١٦ ـ ٨ .

(٤) الاسرة الزيرية تنحدر من قبائل صنهاجة (ابن عذارى) ، ج١ ص٢٤٠ ، ابن خلدون ، تاريخ ج٦ ص٢٠٦) . وكانت مواطنها في المغرب الاوسط ، وعند وصول الفاطميين الى السلطة في المغرب في بداية القرن ٤هـ/١٠م ، فقد قدم هؤلاء الصنهاجيون المساعدة للزيريين ، وكنتيجة لولائهم وخدماتهم فقد فوض الفاطميون للزيريين حكم المغرب بالنيابة عنهم عند انتقالهم الى مصر عام ٣٦٣هـ /٩٧٣ م (ابن عذارى ، ج١ ص ٢٢٨ ، ابن الاثير ، ج٢ ص٦٢٠) . وبمضي الزمن ، بدات السلالة الحاكمة الزيرية تعمل على الاستقلال بحكم المغرب ، وكانت الخطوة الحاسمة عام ٤٤٣/١٠٥١م عندما رفض المعز الزيري الاعتراف بالسيادة الفاطمية واعترف بالسلطة العباسية (ابن عذارى ، ج١ ص ٢٨٠) .

(٥) انظر الازمة الاقتصادية الفاطميين في القرن ٥ هـ /١١ م) المقريزي ، اغاثة الامة (ص٢٤ .

(٦) سيرة بني هلال ، مخطوطة في مكتبة جون ريلاند في جامعة مانجستر ، رقم ٦٢٧ (١٤٣) ورقه ١٢٩ب ، ٢٣١ م .

ابصارهم)(٧) . ويبدو ان الحالة الاقتصادية للعرب الهلالية قد استغلت من قبلهم كوسيلة للتعبئة النفسية ،والتي تعتبر مهمة في عصرنا الحديث لكسب الانتصار(٨) .

اما عن طبيعة القتال فاننا نتبين من احداث المعارك ، بان القتال الذي دار في تلك الفترة يمثل تحديا ومواجهة كبيرة بين القبائل العربية الهلالية وبين السلطة الحاكمة الزيرية في المغرب(٩) . ومع ذلك فان هناك بعض الروايات التي عدت المعارك في تلك الفترة صراعا حاسما بين مجموعتين عنصريتين ، هم القادمون العرب ، واهل المغرب لاسيما في البربر(١٠) .

اما سيرة بني هلال فقد ابرزت الصراع بشكل قومي بين مجموعتين عنصريتين هما العرب الهلالية من المدنانيين واهل المغرب من قبائل صنهاجة الحميرية من القحطانيين(١١) .

امام هذه الروايات المتعددة لا بد لنا من راي حول القضية ، والافتراض الذي نضعه هنا هو ان القتال الذي دار في المغرب في الفترة موضوع البحث، ربما يمثل على الاكثر صراعا بين المستقرين من اهل المغرب وبين القادمين البدو اليه ، فهو بذلك صراع بين نظامين في الحياة بين الاستقرار والبداوة(١٢) . ولعل مانجده من تحامل في المصادر العربية الوسيطة على العرب الهلاليين طبيعتهم التخريبية للمدن والحصون ليؤكد ما افترضناه .

وهناك ناحية اخرى مهمة في الاستراتيجية الحربية للعرب الهلالية ، وهي اساليب وطرق القتال والاسلحة التي استخدموها في بلاد المغرب في تلك الفترة (٥ هـ/ ١١ م) .

بالرغم من ان ابن خلدون يؤكدلنا بان قدوم العرب الهلالية الى المغرب كان كحشد متراص ، او بالحرف الواحد «كالجراد المنتشر»(١٣) . لكن في الوقت نفسه نجد المصادر المعاصرة للاحداث ومنها رواية ابن شرف(١٤) .والسجلات المستنصرية(١٥) تشير الى ان مجموعة من قبائل الهلالية ، لا سيما رياح وزغبة ، هي التي اختيرت من قبل الفاطميين لتجتاز نهر النيل الى بلاد المغرب للانتقام من السلطة الزيرية ، ولعل هؤلاء يمثلون الوجبة الاولى من القادمين الهلاليين .

كانت طوالع الهلالية قد استقرت في مناطق برقة ردحا من الزمن قبل تقدمها غربا(١٦) ، وربما ساعدها هذا الامر في معرفة قوة وبلاد عدوهم عن كثب . كما يمكن ان نفترض ان وصول رئيس قبيلة رياح مؤنس بن يحيى مع اسرته ، وربما اسر اخرى، الى القيروان واستخدامه في بلاط الحاكم الزيري المعز، كان بمثابة حملة استطلاعية لمعرفة الوضع فيها وفي الدولة الزيرية على حد سواء. فابن شرف يسجل ما نصه «فشغل المعز بعضهم بخدمته ، وحملهم اعباء نعمته ، وهم في خلال ذلك يتمرسون بجهاته ، ويدبون الى حماته ، ويطلون على عوراته، حتى بان لهم شأنه وهان عليهم سلطانه ، فجاهروه بالعداوة »(١٧) .

ومن الجانب الاخر ، تؤكد المصادر العربية الى ان بعض قبائل رياح الهلالية قد اختيرت من قبل المعز كحلفاء للسلطة الزيرية لاستخدامهم كوحدة عسكرية ، لاسيما وانه راى ضعفا وتهاونا في جنوده الصنهاجين(١٨) .

ولكن المعز لم يستطع بعمله هذا مهادنة العرب الهلالية ، بل على العكس فقد تقدمت عساكر العرب نحو العاصمة القيروان ، فلم يكن للسلطان الزيري بدّ الا في اتخاذ اجراءات عسكرية سريعة ضدهم .

---

(٧) ابن عذارى ، ج١ ص٢٩٧ .

(٨) ورد في السيرة الهلالية اشارات الى الجدب والقحط الذي عم مواطن استقرار الهلالية وانه الدافع لهجرة الهلاليين لمستوطناتهم والتوجه نحو بلاد المغرب الغنية (انظر سيرة بني هلال ج٥ ورقة ١٧م ـ ١٠٥م) .

(٩) انظر السجلات المستنصرية ، ص٤٢ ، ابن عذارى ، ج١ص٢٩٧ : Brett. Fithat al-pyrawan, pp. 271-8.

(١٠) ابن خلدون ، ج٦ صص١٤ ـ ٥ ؛ Parry, War, Technology and Society in the Middle East, p. 4.

(١١) سيرة بني هلال ، ج٥ ورقة ١١.٨ ، ١٥٥ب ، ١٢٢ ، ٦١ب ، ١٢٧ ، ٥٦ب .

(١٢) ابن عذارى ، ج١ ص ٢٩٢ ، ابن خلدون ج٥ ص٣١ ، ج٦ ص٢٤.

(١٣) ابن خلدون ، ج٦ ص٢١ .

(١٤) ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٩٧ .

(١٥) السجلات المستنصرية ص٤٢ .

(١٦) ابن عذارى ، ج١ ص٢٨٨ ، ابن الاثير ، ج٩ص ص٥٦٦ ـ٧ : ابن الابار ٢ × ج٢ ص ٢١ .

(١٧) ابن عذارى ، ج١ ص٢٩٧ .

(١٨) المصدر نفسه ، ج١ صص ٢٨٨ـ٩ ، ابن خلدون ، ج٤ ص١٢٢ .

من سير المعارك التي جرت بين العرب الهلالية وجيش المعز الزيري نستطيع ان نتبين التكتيك الحربي للعرب في تلك الفترة . فبالرغم من سرعة تحرك المعز بجيشه من العاصمة القيروان ليتخذ مواقع قرب المناطق التي تجمع فيها العرب، الا اننا نجد ان الاستراتيجية العسكرية للعرب قد ورتبت على اساس الهجوم المباغت على الجيش الزيري قبل ان يرتب نفسه ، مما حول المعركةالى حالة غير متوقعة من الارتباك والفوضى .

وفي المعركة الاولى بين الجيش الزيري وعسكر العرب ، والتي جرت قرب جبل حيدران يتوضح لنا بان الاخيرين استخدموا في هجماتهم اسلوب الكر والفر . فابن شرف يشبه هجوم العرب الاول على انه « حملة رجل واحد » ، وهو ما تسبب في هزيمة جيش المعز امامهم تاركين امتعتهم واسلحتهم(١٩) . ثم تتوالى هجمات العرب المتكررة على جيش الزيريين المندحر ، مما ادى الى ابادته في الطريق بين القيروان والمهدية(٢٠) .

ومع استخدام العرب لاسلوب الحرب الخاطفة فان برت Brett يشير ، معتمدا على رواية ابن خلدون ، الى ان العرب قد اعتمدوا في حماية انفسهم على حاجز من دواب الحمل والخيام وهو نوع من التكتيك يبدو بانه كانملائما لجحافل الهلالية المتحركة الى المغرب(٢١) . ومما ممكن ان نضيفه الى راي برت Brett هو ان عوائل الهلالين ، بما فيهم النساء والشيوخ والاطفال ، والتي كانت تصاحبهم في معاركهم كانت حافزا مهما في القتال لحماية هذه العوائل وممتلكاتها ، وبالتالي على كسب النصر ، كان عسكر الهلاليين الذي يتكون من فرسان ومشاة (خيالة وراجلة)(٢٢) ، قد ساعدة صغر حجمه بالنسبة الى عسكر المعز(٢٣) على سرعة الحركة وبالتالي على كسب النصر ، في حين ان حجم(٢٤) حملة المعز الزيري قد ساهمت بالتاكيد في تعطيل فعاليتها وخسرانها(٢٤) .

(١٩) ابن عذارى ، ج١ ص٢٩٠ .
(٢٠) المصدر السابق ، ج١ ص٢٩٤ ، التيجاني ، ص٣٢٩.
(٢١) Brett, The Military interest of Haydaran, p. 86.
(٢٢) ابن عذارى ، ج١ ص٢٩٠ .
(٢٣) المصدر نفسه .
(٢٤) انظر Brett, op. cit., p. 81; ويشير ابن عذارى الى ان عدد جيش المعز في اول لقاء بينه وبين العرب كان ٣٠ الف فارس ومايليق بهم من الرجالة ، في حين ان عسكر العرب كان ٢ الاف فارس بالاضافة الى مايليق بهم من الرجالة . وبالرغم من المبالغة في هذين الرقمين الا انهما يؤكدا حقيقة كون ان حجم الجيش الزيري كان اكبر بكثير من حجم الجيش العربي . ابن عذارى ، ج١ ص ٢٩٠ .

ومن اسباب النصر والهزيمة في المعارك التي جرت بين العرب والسلطة الزيرية هو العناصر التي تالفت منها تلك الجيوش والعساكر . والذي يبدو ان تنوع العناصر التي ضمها جيش الزيريين كانت احد اسباب نشلهم . فجيش المعز تكون من قبائل صهناجة قومه ، ومن العبيد الذين كانوا اشبه بالمرتزقة في الجيوش ، ومن العرب المستقرين في المغرب منذ العصور الاسلامية الاولى. وكان طبيعيا ان ينضم العرب الى اخوانهم العرب الهلائيين عند بدا المعارك وهذا ما تؤكده المصادر العربية(٢٥). في حين نجد هذه المصادر تؤكد هرب الصنهاجين من ساحة القتال ، ولم يثبت فيها الا العبيد ، ومع ذلك فانهم لم يصمدوا امام العرب(٢٦) . اما عسكر العرب فقد كان يتكون من القبائل العربية الهلالية بوحدها وبفروعها المختلفة .

ومن الاشارات الطريفة التي نجدها في المعارك الحربية ، هو استخدام الشعر الذي كان يتبادله العرب واعداءهم الزيريين قبل بدا اي معركة. وهذا ما يورده ابن خلدون وتؤكده بوضوح « السيرة انهلالية »(٢٧) .

ان هذه الاشعار قد تقودنا الى الافتراض بان العرب الهلالين استخدموا في هجماتهم مع اعدائهم اسلوب « الحرب الباردة » ، حيث كثيرا ما يسبق الوقائع الفعلية في المعارك المبارزات الشعرية ، حيث يعتز كل منهما بقبيلته ونسبه وايامه ويهجو عدوه ، الامر الذي كان يؤدي في الغالب الى يوم حاسم وعنيف بين الجمعين(٢٨) . ويظهر اسلوب الحرب

(٢٥) ابن خلدون ، ج٦ ص٢٢ .
(٢٦) ابن عذارى ، ج١ ص ٢٨٩ ـ ٢٩٠ ، برت Brett حيث يشير الى ان سبب صمود العبيد مع المعز لا يعود اخلاصهم بقدر مايعود الى كونهم قوة مشاة مسلحة تسليحا ثقيلا لا تستطيع الفرار في مثل هذه الظروف ، في حين ان صهناجة كانوا فرسانا استطاعوا الهرب عندما فوجئوا بهجوم العرب المباغت عليهم .
(٢٧) انظر السيرة الهلالية ، ج٥ ورقة ٨٧م ب ، ٣٢م ، ٣٢٢م.
(٢٨) انظر عبدالحميد يونس ، الهلالية ، ص ٩٠ .

الباردة التي اشرنا اليها الى تاكيد الهلاليين على قوتهم وشجاعتهم ، التي لا يصمد امامها عدوهم مهما كانت قوته او شجاعته .

استخدم العرب الهلاليين في معاركهم في بلاد المغرب الاسلحة الخفيفة التقليدية التي اعتادوا على استخدامها والتي تلائم طبيعة حياتهم المتنقلة، وهم في ذلك قد اعتمدوا على الخيول والجمال(٢٩) وكانت ابرز الاسلحة عندهم هي « الرمح » ، الذي استخدم في الكر والاغارة والرمي(٣٠) ثم السيف في المبارزة(٣١) . ومن المؤكد ان العرب قد استفادوا واستخدموا الاسلحة والامتعة العسكرية التي كان يتركها خلفه جيش المعز الزيري ، والتي تصبح من نصيب العرب(٣٢) ، وقد قوى وجود هذه الاسلحة مع العرب النزعة الحربية عندهم ، بالاضافة الى ماكانوا يمتلكونه من اسلحة .

ومن الوسائل العسكرية التي استخدمها العرب الهلاليون في معاركهم مع اعدائهم في بلاد المغرب والتي تدل على معرفة بالفنون الحربية ، الحصار العسكري والاقتصادي للمدن . ولعل خير نموذج نورده هنا ، والذي سجله لنا البيان عن رواية ابن شرف هو حصارهم لمدينة القيروان وليومين متتالين بحيث « لا يدخل اليها داخل ولايخرج منها خارج »(٣٣) . كما انهم منعوا عدوهم الحصول على المواد الغذائية ويؤكد هذا قول ابن شرف « فانقطع الميرة عن القيروان ، وتعطلت الاسواق »(٣٤) . وربما ارادوا بهذا الحصار ايضا منع اي امدادات عسكرية من الوصول الى القيروان من مناطق اخرى فاضعفوا عدوهم بذلك . واخيرا هدفوا من وراء ذلك الى التاثير على عدوهم نفسيا ، وذلك باستخدامهم الاسرى من قوم المعز الزيري في اثارة الرهبة والذعر في نفوس الزيريين . يحدثنا ابن شرف عن ذلك بقوله « امسك العرب جميع من اسروه ، فلم يطلقوا احد الا بالفداء مثل اسرى الروم ، اما الضعفاء والمساكين فامسكوهم لخدمتهم »(٣٦) .

ومن التكتيك الحربي العربي ، الذي وددت لو اشارت اليه المصادر التاريخية العربية الوسيطة، وبنفس الصورة الذي تعرضت له القصص الشعبي الهلالي ، الا وهو لجوء العرب الى استخدام وسائل التجسس لجس نبض العدو ومعرفة قدرته العسكرية . هذا ماشارت اليه سيرة بني هلال، وتاكيدها على ان النساء من بني هلال هن اللواتي قمن بهذا الدور ، فقد تسربت فتيات هلاليات الى مدن اعدائهن بحجة كونهن بائعات بضائع ونجحن في هدفهن(٣٧) .

ومن خلال استعراضنا لفعاليات العرب الهلالية الحربية في بلاد المغرب في القرن ٥ هـ/١١م يظهر لنا امتلاك هذه القبائل العربية للقدرات والتكتيكات العسكرية . وهذا مايضعف الزعم القائل بانها كانت مجرد قبائل بدوية ـ بدائية ، جاءت لاجل التخريب والغزو لا غير . ولعل خير مثال نورده في هذا المجال هو انتصارها على جيش المعز الزيري النظامي من جهة ، واستخدامها كفرق نظامية ضمن عساكر الامارات المتواجدة في المغرب في القرن ٥هـ/١١م والقرون الذي تلته من جهة اخرى. فالحماديون في المغرب الاوسط ، استخدموا القبائل الهلالية في وحداتهم العسكرية في منتصف القرن ٥هـ/ ١١م . حيث يذكر لنا ابن شرف في حوادث سنة ٤٥٠ هـ / اشتراك مجموعات من قبائل الاثبج وعدي في جيش بلقين الصهناجي ، لحرب زناته فكسروها(٣٨) . وكذلك حدث الامر بالنسبة للامارات الصغيرة التي قامت في بلاد المغرب بعد انهيار السلطة الزيزيه ، حيث استعانت بالعرب الهلالية كقوة عسكرية للدفاع عن نفسها ضد اعدائها(٣٩) .

---

(٢٩) ابن عذارى ، ج١ ص٢٩٠ ، ٢٩٢ .
(٣٠) المصدر نفسه ، ج١ص٢٨٩ .
(٣١) ابن عذارى ، ج١ ص ٢٨٩ .
(٣٢) المصدر نفسه ، ج١ص٢٩٠ .
(٣٣) المصدر نفسه ، ج١ ص٢٩١ .
(٣٤) ن . م .
(٣٥) ن . م .
(٣٦) ن . م .
(٣٧) انظر سيرة بني هلال ج٥ ورقه ٢٢ب ، ٢٣ب١ ، ٢٣ب
(٣٨) ابن عذارى ، ج١ ص٢٩٤ .
(٣٩) انظر ابن عذارى حيث يورد شواهد على ذلك ، ص٢٩٩، ٣٠٧ ـ ٣٠٨ .

مصـــادر البحث

١ـ المصادر العربية :

ابن الاثير : عز الدين بن محمد ، كتاب الكامل في التاريخ ، ١٢ جزء (بيروت ، ١٩٦٩) .

ابن الابار : محمد بن عبدالله بن ابي بكر ، كتاب الحلة السيراء ، تحقيق حسين مؤنس ، ٢ جزء (القاهرة ، ١٩٦٣) .

ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد ، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر ٧ جزء (بيروت ، ١٩٦٧ ـ ٦٨) .

ابن عذارى المراكشي ، البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب ٤ جزء (بيروت ، ١٩٦٧) .

ابن ميسر ، محمد بن علي ، اخبار مصر تحقيق هنري ماسيه (القاهرة ، ١٩١٩) .

التيجاني ، عبدالله بن محمد بن احمد ، الرحلة ، تونس ، ١٩٥٨) .

السجلات المستنصرية ، تحقيق عبد المنعم ماجد (القاهرة ، ١٩٥٤) .

سيرة بني هلال ، (مخطوط) في مكتبة جون ريلاند في مانجستر John Rylands University Library of Manchester, Nos. 623-627 (139-143).

الطبري ، ابو جعفر محمد بن جرير ، تاريخ الرسل والملوك ، ١٠ جزء (القاهرة ، ١٩٦٠ ـ ٦٩) .

الكندي ، محمد بن يوسف كتاب الولاة وكتاب القضاة ، تحقيق Rhun von Guest (بيروت ، ١٩٠٨) .

المقريزي ، تقي الدين احمد بن علي ، البيان والاعراب ، تحقيق عبدالمجيد عابدين (القاهرة ، ١٩٦١) .

المقريزي ، تقي الدين احمد بن علي ، اتعاظ الحنفا باخبار الائمة الفاطمية الخلفا ، ٣ جزء (القاهرة : ١٩٦٧ـ ـ ٦٣) .

يونس ، عبد الحميد ، الهلالية في التاريخ والادب والشعبي (القاهرة ، ١٩٥٦) .

٢ـ المصادر الاجنبية :

Brett, M. Finat alQayrawan, unpublishe ph. D. thesis (SOAS, London, 1970).

Idem, 'The military interest of the battle of Haydaran', in : War, Technology, and Society in the Middle East, (London, 1975).

Parry, V.J. and Yapp. M.E. (eds.), war, Technology and Society in the Middle East (London, 1975).

WWW.ATTAWEEL.COM